تفسير إبن كثير

ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ

يقول تعالى لما ذكر روضات الجنة ، لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات : (ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي : هذا حاصل لهم كائن لا محالة ، ببشارة الله لهم به .وقوله : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) أي : قل يا محمد لهؤلاء المشركين من كفار قريش : لا أسألكم على هذا البلاغ والنصح لكم ما لا تعطونيه ، وإنما أطلب منكم أن تكفوا شركم عني وتذروني أبلغ رسالات ربي ، إن لم تنصروني فلا تؤذوني بما بيني وبينكم من القرابة .قال البخاري : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة قال : سمعت طاوسا عن ابن عباس : أنه سئل عن قوله تعالى : (إلا المودة في القربى) فقال سعيد بن جبير : قربى آل محمد . فقال ابن عباس : عجلت إن النبي - صلى الله عليه وسلم - لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة ، فقال : إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة . انفرد

به البخاري .ورواه الإمام أحمد ، عن يحيى القطان ، عن شعبة به . وهكذا روى عامر الشعبي ، والضحاك ، وعلي بن أبي طلحة ، والعوفي ، ويوسف بن مهران وغير واحد ، عن ابن عباس ، مثله . وبه قال مجاهد ، وعكرمة ، وقتادة ، والسدي ، وأبو مالك ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، وغيرهم .وقال الحافظ أبو القاسم الطبراني حدثنا هاشم بن يزيد الطبراني وجعفر القلانسي قالا حدثنا آدم بن أبي إياس ، حدثنا شريك ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس قال : قال لهم رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " لا أسألكم عليه أجرا إلا أن تودوني في نفسي لقرابتي منكم ، وتحفظوا القرابة التي بيني وبينكم " .وروى الإمام أحمد ، عن حسن بن موسى : حدثنا قزعة يعني ابن سويد - وابن أبي حاتم - عن أبيه ، عن مسلم بن إبراهيم ، عن قزعة بن سويد - عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ; أن النبي - صلى االله عليه وسلم - قال : " لا أسألكم على ما آتيتكم من البينات والهدى أجرا ، إلا أن توادوا االله ، وأن تقربوا إليه بطاعته " .وهكذا روى قتادة عن الحسن البصري ، مثله .وهذا كأنه تفسير بقول ثان ، كأنه يقول : (إلا المودة في القربى) أي : إلا أن تعملوا بالطاعة التي تقربكم عند االله زلفى .وقول ثالث : وهو ما

حكاه البخاري وغيره ، رواية عن سعيد بن جبير ، ما معناه أنه قال : معنى ذلك أن تودوني في قرابتي ، أي : تحسنوا إليهم وتبروهم .وقال السدي ، عن أبي الديلم قال : لما جيء بعلي بن الحسين أسيرا ، فأقيم على درج دمشق ، قام رجل من أهل الشام فقال : الحمد الله الذي قتلكم واستأصلكم ، وقطع قرني الفتنة . فقال له علي بن الحسين : أقرأت القرآن ؟ قال : نعم . قال : أقرأت آل حم ؟ قال : قرأت القرآن ، ولم أقرأ آل حم . قال : ما قرأت : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) ؟ قال : وإنكم أنتم هم ؟ قال : نعم .وقال : أبو إسحاق السبيعي : سألت عمرو بن شعيب عن قوله تعالى : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) فقال : قربى النبي - صلى الله عليه وسلم - . رواهما ابن جرير .ثم قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا مالك بن إسماعيل ، حدثنا عبد السلام ، حدثني يزيد بن أبي زياد ، عن مقسم ، عن ابن عباس قال : قالت الأنصار : فعلنا وفعلنا ، وكأنهم فخروا فقال ابن عباس - أو : العباس ، شك عبد السلام - : لنا الفضل عليكم . فبلغ ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأتاهم في مجالسهم فقال : " يا معشر الأنصار ، ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي ؟ " قالوا : بلى ، يا رسول الله .

قال : ألم تكونوا ضلالا فهداكم االله بي ؟ " قالوا : بلى يا رسول االله قال : " أفلا تجيبوني ؟ " قالوا : ما نقول يا رسول االله ؟ قال : " ألا تقولون : ألم يخرجك قومك فآوياك ؟ أولم يكذبوك فصدقناك ؟ أولم يخذلوك فنصرناك " ؟ قال : فما زال يقول حتى جثوا على الركب ، وقالوا : أموالنا وما في أيدينا الله ولرسوله . قال : فنزلت : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) .وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، عن علي بن الحسين ، عن عبد المؤمن بن علي ، عن عبد السلام ، عن يزيد بن أبي زياد - وهو ضعيف - بإسناده مثله ، أو قريبا منه .وفي الصحيحين - في قسم غنائم حنين - قريب من هذا السياق ، ولكن ليس فيه ذكر نزول هذه الآية . وذكر نزولها في المدينة فيه نظر ; لأن السورة مكية ، وليس يظهر بين هذه الآية الكريمة وبين السياق مناسبة ، واالله أعلم .وقال ابن أبي حاتم : حدثنا علي بن الحسين ، حدثنا رجل سماه ، حدثنا حسين الأشقر ، عن قيس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى) قالوا : يا رسول االله ، من هؤلاء الذين أمر االله بمودتهم ؟ قال : " فاطمة وولدها ، عليهم السلام " .وهذا إسناد ضعيف ، فيه مبهم لا يعرف ، عن شيخ شيعي

متخرق ، وهو حسين الأشقر ، ولا يقبل خبره في هذا المحل . وذكر نزول هذه الآية في المدينة بعيد ; فإنها مكية ولم يكن إذ ذاك لفاطمة أولاد بالكلية ، فإنها لم تتزوج بعلي إلا بعد بدر من السنة الثانية من الهجرة .والحق تفسيرها بما فسرها به الإمام حبر الأمة ، وترجمان القرآن ، عبد االله بن عباس ، كما رواه عنه البخاري [رحمه االله] ولا تنكر الوصاة بأهل البيت ، والأمر بالإحسان إليهم ، واحترامهم وإكرامهم ، فإنهم من ذرية طاهرة ، من أشرف بيت وجد على وجه الأرض ، فخرا وحسبا ونسبا ، ولا سيما إذا كانوا متبعين للسنة النبوية الصحيحة الواضحة الجلية ، كما كان عليه سلفهم ، كالعباس وبنيه ، وعلي وأهل بيته وذريته ، رضي االله عنهم أجمعين .[وقد ثبت] في الصحيح : أن رسول االله - صلى االله عليه وسلم - قال في خطبته بغدير خم : " إني تارك فيكم الثقلين : كتاب االله وعترتي ، وإنهما لم يفترقا حتى يردا علي الحوض " .وقال الإمام أحمد : حدثنا يزيد بن هارون ، أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد االله بن الحارث ، عن العباس بن عبد المطلب قال : قلت : يا رسول االله ، إن قريشا إذا لقي بعضهم بعضا لقوهم ببشر حسن ، وإذا لقونا لقونا بوجوه لا نعرفها ؟ قال : فغضب

النبي - صلى االله عليه وسلم - غضبا شديدا ، وقال : " والذي نفسي بيده ، لا يدخل قلب الرجل الإيمان حتى يحبكم الله ولرسوله " .ثم قال أحمد حدثنا جرير ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن عبد االله بن الحارث ، عن عبد المطلب بن ربيعة قال : دخل العباس على رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فقال : إنا لنخرج فنرى قريشا تحدث ، فإذا رأونا سكتوا . فغضب رسول االله - صلى االله عليه وسلم - ودر عرق بين عينه ، ثم قال : " واالله لا يدخل قلب امرئ إيمان حتى يحبكم الله ولقرابتي " .وقال البخاري : حدثنا عبد االله بن عبد الوهاب ، حدثنا خالد ، حدثنا شعبة ، عن واقد قال : سمعت أبي يحدث عن ابن عمر ، عن أبي بكر الصديق ، رضي االله عنه ، قال : ارقبوا محمدا - صلى االله عليه وسلم - في أهل بيته .وفي الصحيح أن الصديق قال لعلي ، رضي االله عنهما : واالله لقرابة رسول االله - صلى االله عليه وسلم - أحب إلي أن أصل من قرابتي .وقال عمر بن الخطاب للعباس ، رضي االله عنهما : واالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلي من إسلام الخطاب لو أسلم ; لأن إسلامك كان أحب إلى رسول االله من إسلام الخطاب .فحال الشيخين ، رضي االله عنهما ، هو الواجب على كل أحد أن يكون كذلك ; ولهذا كانا أفضل

المؤمنين بعد النبيين والمرسلين ، رضي االله عنهما ، وعن سائر الصحابة أجمعين .وقال الإمام أحمد ، رحمه االله : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أبي حيان التيمي ، حدثني يزيد بن حيان قال : انطلقت أنا وحسين بن ميسرة ، وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم ، فلما جلسنا إليه قال له حصين : لقد لقيت يا زيد خيرا كثيرا ، رأيت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - وسمعت حديثه وغزوت معه ، وصليت معه . لقد رأيت يازيد خيرا كثيرا . حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول االله - صلى االله عليه وسلم - . فقال : يا ابن أخي ، واالله كبرت سني ، وقدم عهدي ، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول االله - صلى االله عليه وسلم - فما حدثتكم فاقبلوه ، وما لا فلا تكلفونيه . ثم قال : قام رسول االله - صلى االله عليه وسلم - يوما خطيبا فينا ، بماء يدعى خما - بين مكة والمدينة - فحمد االله وأثنى عليه ، وذكر ووعظ ، ثم قال : " أما بعد ، ألا أيها الناس ، إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وإني تارك فيكم الثقلين ، أولهما : كتاب االله ، فيه الهدى والنور ، فخذوا بكتاب االله واستمسكوا به " فحث على كتاب االله ورغب فيه ، وقال : " وأهل بيتي أذكركم االله في أهل بيتي أذكركم االله في أهل بيتي " فقال له حصين : ومن

أهل بيته يا زيد ؟ أليس نساؤه من أهل بيته ؟ قال : إن نساءه من أهل بيته ، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده قال : ومن هم ؟ قال : هم آل علي ، وآل عقيل ، وآل جعفر ، وآل العباس ، قال : أكل هؤلاء حرم الصدقة ؟ قال : نعم .وهكذا رواه مسلم [في الفضائل] والنسائي من طرق عن يزيد بن حيان به .وقال أبو عيسى الترمذي حدثنا علي بن المنذر الكوفي ، حدثنا محمد بن فضيل ، حدثنا الأعمش ، عن عطية ، عن أبي سعيد - والأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن زيد بن أرقم - قال : قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - " إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب االله حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، والآخر عترتي : أهل بيتي ، ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما "تفرد بروايته الترمذي ثم قال : هذا حديث حسن غريب .وقال الترمذي أيضا حدثنا نصر بن عبد الرحمن الكوفي ، حدثنا زيد بن الحسن ، عن جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جابر بن عبد االله قال : رأيت رسول االله - صلى االله عليه وسلم - في حجته يوم عرفة ، وهو على ناقته القصواء يخطب ، فسمعته يقول : " يا أيها الناس ، إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لن

تضلوا : كتاب االله ، وعترتي أهل بيتي "تفرد به الترمذي أيضا ، وقال : حسن غريب .

وفي الباب عن أبي ذر ، وأبي سعيد ، وزيد بن أرقم ، وحذيفة بن أسيد .ثم قال الترمذي :

حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث ، حدثنا يحيى بن معين ، حدثنا هشام بن يوسف ، عن

عبد االله بن سليمان النوفلي ، عن محمد بن علي بن عبد االله بن عباس ، عن أبيه ، عن

جده عبد االله بن عباس قال : قال رسول االله - صلى االله عليه وسلم - : " أحبوا االله لما

يغذوكم من نعمه ، وأحبوني بحب االله ، وأحبوا أهل بيتي بحبي "ثم قال حسن غريب

إنما نعرفه من هذا الوجه .وقد أوردنا أحاديث أخر عند قوله تعالى : (إنما يريد االله ليذهب

عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) [الأحزاب : 33] ، بما أغنى عن إعادتها

هاهنا ، والله الحمد والمنة .وقال الحافظ أبو يعلى : حدثنا سويد بن سعيد ، حدثنا مفضل

بن عبد االله ، عن أبي إسحاق ، عن حنش قال : سمعت أبا ذر وهو آخذ بحلقة الباب

يقول : يا أيها الناس ، من عرفني فقد عرفني ، ومن أنكرني فأنا أبو ذر ، سمعت رسول

االله - صلى االله عليه وسلم - يقول : " إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح ، من

دخلها نجا ، ومن تخلف عنها هلك " .هذا بهذا الإسناد ضعيف .وقوله : (ومن يقترف

حسنة نزد له فيها حسنا) أي : ومن يعمل حسنة (نزد له فيها حسنا) أي : أجرا وثوابا ، كقوله (إن االله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما) [النساء : 40] .وقال بعض السلف : [إن] من ثواب الحسنة الحسنة بعدها ، ومن جزاء السيئة (السيئة) بعدها .وقوله : (إن االله غفور شكور) أي : يغفر الكثير من السيئات ، ويكثر القليل من الحسنات ، فيستر ويغفر ، ويضاعف فيشكر .